حركة المهاجرين فى منطقة غرب دارفور

عبد الرحمن محمد محمود

تنقسم حركة المهاجرين * بمنطقة غرب دارفور الى ثلاثة أقسام . فهناك الرعايا القادمون من جمهورية تشاد أو افريقيا الوسطى لطلب العمل أو الاستيطان ، وهناك العمال الموسميون والمهاجرون من شباب هذه المنطقة الى أواسط السودان ، كما أن هناك المهاجرين الذين يتجولون بين الخلاوى داخل المنطقة طلبا للعلم وسيتناول هذا المقال هذه الفئة الثالثة بالكثير من التفصيل نسبة لانتشارها الواسع فى هذه المنطقة وما تتمتع به من تأييد ودعم معنوى ومادى ولربما كان ذلك من تاريخها القديم ومن ارتباط تعليم الخلاوى بالعقيدة الاسلامية كما هى الحال فى كثير من مناطق السودان الاخرى .

وحركة المهاجرين أو منظماتهم سمة من السمات الاجتماعية البارزة وسط مجتمعات القرى بهذه المنطقة، كما انها حركة تنتظم جميع قرى هذه المنطقة ولا تنعدم الا فى المدن أو أشباه المدن من القرى المتقدمة. وتمثل معلما من المعالم البارزة التى يلحظها الزائر لاول مرة ، وتظهر له فى شكل جماعات كبيرة من الصبية والاطفال يتجول من قرية لاخرى ، أو فى شكل قرى دائرية ذات قطاط صغيرة الأحجام ، تبعد قليلا عن قرى الاهالى .

---

* هذا المقال مبنى على دراسة ميدانية أجريت بمنطقة غرب دارفور (جبل مرة) فى الفترة ما بين أكتوبر ١٩٦٨ ويناير ١٩٧١ .

تاريخ حركة المهاجرين :

بدأ دخول الاسلام وانتشاره بدارفور اعتباراً من القرن الثالث عشر الميلادى(١) ويجمع معظم المؤرخين على أن هذه الفترة هى فترة دخول القبائل العربية المسلمة الى مملكة دارفور ومعظمها قد أتى من شمال افريقيا ومن غرب افريقيا ومن منطقة سنار ، كما يجمعون على أن الاسلام لم يصبح الدين الرسمى للدولة ولم تبدأ حركة نشره والدعوة له وتشجيع هجرة علمائه الا فى عهد سلاطين وملوك الكنجارة الذين أسسوا مملكة دارفور المسلمة(١٦٤٠ ــ ١٩١٦م) • ففى القرن الرابع عشر الميلاد وفد على دارفور عرب من جهة تونس يقال لهم بنو هلال ، كانوا تحت رئاسة أحمد المعقور ، اختلطوا بالسكان الاصليين وكانت عادة الفور آنذاك ــ كما كانت عادة غيرهم من سكان السودان الآخرين ــ أن يرث ابن الاخت خاله المتوفى أو ابن البنت جده(٢) • فقد تزوج أحمد المعقور الاميرة خيرة بنت السلطان شاودوشين سلطان الفور وأنجب منها ابنه سليمان صولنج الذى أسس أول مملكة أو سلطنة مسلمة بدارفور •هناك روايات محلية تذكر أن أحمد المعقور كان عالما متفقها فى الدين ،كما كان يعد أول المهاجرين •

لقد عمل السلطان سليمان صولنج ومن خلفه من السلاطين والملوك ، على جعل الاسلام الدين الرسمى لمملكة أو سلطنة الفور (قانون دالى الشهير) كما عملوا على نشره وتشجيع العلماء من مصر وسنار وكردفان وبرقو للهجرة الى السودان ، وشجعوا مواطنيهم على الهجرة الى الأزهر بمصر طلباً للعلم والتفقه فى الدين ، وجعلوا للمهاجرين من السودان الى مصر رواقاً بالازهر الشريف عرف برواق دارفور ــ وشهدت هذه الفترة بناء الجوامع وانشاء المساجد وتشجيع المهاجرين • ومن اشهر ملوك الفور الذين شجعوا حركة هجرة العلماء

---

١ ــ ماكمايكل : السودان فى مدونات ورسائل ، العدد ٢٢ ، الجزء الاول ، ص ٥٥

٢ ــ عبد العزيز أمين عبد المجيد ، التربية فى السودان ، الجزء الاول ، ١٩٤٩ ، ص ٤١ .

والمهاجرين السلطان عبد الرحمن الرشيد الذى يقال انه قد بنى تسعة وتسعون جامعا وجلب العلماء من تونس والأزهر ومن غرب افريقيا • وكانت أشهر خلاوى المهاجرين فى هذه الفترة خلاوى طره ، وخلاوى شويا ، وخلاوى الطينة وكتاتيب كوبى ، وخلاوى تندلتى أو الفاشر • وكان فقهاء هذه الخلاوى من الائمة المتفقهين فى الاسلام •

ومنذ هذا الوقت بدأت تنمو حركة المهاجرين وتتخذ طابعا خاصا، وهو الطابع الحالى لها • فقد وجدت تشجيعا كبيرا من زعماء الادارة الاهلية ، الشراتى والعمد والمشايخ، الذين عملوا على انتشارها فى ديارهم كما وزعوا الحواكير لفقهائها ليكسبوا عيشهم وعيش تلاميذهم منها • واشهر هذه الحواكير (أو الديار) هى حاكورة الفكى عبد الجبار بمنطقة كاس الحالية• وكلمة حاكورة هنا تعنى اراض زراعية ورعوية يهبها الوالى لمن يصطفيه ليكسب رزقه منها •

بدأت حركة المهاجرين أول ما بدأت كحركة لتعليم القرآن والكتابة والقراءة ، وكان المهاجرون (أو تلاميذ الخلوه) من الجنسين ، لكنها حاليا انحصرت فى جنس الرجال فقط • والدليل على انها كانت منتشرة بين الجنسين فى عهد سلطنة الفور ان هناك عددا كبيرا من النساء المتقدمات فى السن بمنطقة طرة وداية (قلب مملكة الفور) لازلن يحفظن القرآن ويعرفن الكتابة والقراءة ، كما ذكر لى بعض من ائمة طرة الحاليين ان زواج الولد من البنت قديما كان يشترط فيه تعلمهما

ويلاحظ ان حركة المهاجرين هذه بدأت كتعليم دينى يعرف بتعليم الخلاوى ، كما بدأت كظاهرة منتشرة بين جميع القبائل ، لكنها تقلصت وانحصرت حاليا بين افراد قبيلة الفور فقط ، وقد جعلوها مؤسسات قائمة بذاتها لها نظم وقواعد ومفاهيم وقيم مرتبطة بها • ولربما يعود ذلك الى تلك السياسة التى انتهجها الانجليز فى ادارتهم لاقليم غرب دارفور • فقد ترك كاقليم مقفول معزول وطبق عليه نظام المناطق أو المراكز المقفولة ، ومنع فيه دخول العناصر المتحضرة القادمة من اواسط السودان المتحضر ، ونعنى بهم الجلابة ، فقد كانوا

لفترة من الفترات رسل حضارة • كان دخولهم لا يتم الا بإذن من مدير المديرية ومفتش المركز ، وتحدد اقامتهم كما تحدد الطرق التى يسلكونها • وساعد على ذلك أيضا رداءة المواصلات وتجاهل الانجليز التام للشروع فى تقديم الخدمات التعليمية الحديثة فى وقت مبكر • كل هذه العوامل مع عوامل التخلف الاخرى المتمثلة فى قبول افراد قبيلة الفور لمنظمات المهاجرين كمؤسسات اهلية تتمتع بالتأييد والدعم المعنوى والمادى ، مكنها من ان تتطور من منظمات الى مؤسسات ذات نظم وقواعد واسس مكنتها من ان تجد التأييد والقبول من قبل البيئة حولها •

هذه العوامل ساعدت على توفير عنصر البقاء والاستمرار لمنظمات المهاجرين ومكنتها من ان تغرس مفهوما لها وسط البيئة التى تعيش حولها وبذلك ضمنت لها البقاء والاستمرار مادام معظم افراد قبيلة الفور يؤمنون بها • هذا المفهوم أو الاعتقاد هو : ان الطفل لا يستطيع تعلم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن الا فى خلوة بقرية غير القرية التى يقيم فيها والداه ، كما ان تعليم الكتابة والقراءة وحفظ القرآن واجب على كل طفل ذكر — وفى هذا المفهوم نجد الاساس الذى تقوم عليه حركة المهاجرين التى تمتاز بالحركة والتنقل من مسجد لآخر ، ومن فقيه لآخر ، ومن قرية لأخرى • وهنا تحضرنى خاطرة اجتماعية كانما هى مقرونة بعنصر الحركة أيضا بين افراد قبيلة الفور عند ختان ابنائهم من الذكور وهى شرط أو وجوب قضاء الطفل الليلة السابقة لختانه فى قرية غير تلك التى يقيم فيه والداه • كما ان حلقات الطرب والرقص بالنسبة لافراد القبيلة المحتفلين تنتقل من قرية لاخرى جريا على الاقدام •

لهذا اصبحت الهجرة شيئا يحبذه ، بل ويفرضه الوالدون ، على ابنائهم من الذكور ، الشىء الذى جعل حركة المهاجرين حركة تضم الاغلبية الكبرى من اطفال وشباب الفور ، الشىء الذى مكن هذه الحركة من الانتشار المنتظم بين جميع قرى الفور بهذه المنطقة •

التنظيم الداخلى لمنظمات المهاجرين :

ليس هناك حد ادنى للعمر للالتحاق بحلقة من حلقات المهاجرين، لكن سار عرف بين افراد قبيلة الفور على ان يبدأ الالتحاق فيما بعد السنة السابعة ، كما ان فترة البقاء أو الانتساب للحلقة مقرونة بتجويد الكتابة والقراءة وحفظ القرآن وغالباً ما يقضى التلاميذ اربعة أو خمسة اعوام قبل ان يتم تخرجهم • لهذا نجد ان اعمار المهاجرين متأرجحة ما بين السنة السابعة والسنة الخامسة والعشرين ، ولربما يوجد من هم فوق هذه السن ، وبالفعل شهدت ثلاثة من المهاجرين المنتسبين الى خلاوى كلس وهم فوق الخمسين عاما •

اما عن عدد المهاجرين فيختلف من خلوة أو حلقة لاخرى ، ويعتمد ذلك على شهرة الفقيه وسمعته الطيبة لدى الجمهور ومدى حفظه للقرآن وتجويده لقراءته ومدى تدينه • ويعتمد عددهم أيضا على مدى كرم المواطنين بالقرى المجاورة لخلاوى المهاجرين نسبة لاعتماد المهاجرين على ما يتصدق به عليهم غيرهم • فلفظتا « مهاجر ندورى كرامة واماديو » لفظتان ملازمتان للمهاجرين اثناء تجوالهم من قرية لاخرى أو منزل لآخر يطلبون الصدقة أو الكرامة كما يسمونها • لهذا تعتمد احجام الخلاوى على احجام القرى المجاورة ومدى مايجود بها سكانها للمهاجرين •

وخلاوى المهاجرين هى عبارة عن قرى قائمة بذاتها وتعرف بقرى المهاجرين وهى أول ما يلحظه الزائر لمعظم القرى بهذه المنطقة • وتبنى قراهم فى شكل قطاط صغيرة الاحجام وتسع القطية الواحدة منها اثنين أو ثلاثة من المهاجرين وقد تسع واحدا فقط للاقامة بها • وتعتبر هذه القرى قرى مؤقتة تنتهى كل قطية منها بمجرد رحيل سكانها • وغالبا ما تكون مبنية من مواد المبانى المؤقتة كالخشب والقصب • وتبنى هذه القرى فى شكل دائرى يتوسطه منزل الفقيه (الفكى) والشجرة التى يجتمع فيها الفقيه بتلاميذه • ويتفاوت عدد هذه القطاطى من قرية لاخرى كماذكرنا سابقا معتمدا على عدد تلاميذ

الخلوة • هناك قرى للمهاجرين يبلغ عـــدد قطاطيها المائة قطية كما يناهز عدد تلاميذهـــا المائة تلميذ ــ ومن اشهر هذه الخلاوى خلاوى كلس ومرندو وحجير وبيـــلا ومـــكجروسندو وترج وشنقه وخلاوى جبل كونو وخلاوى قرعة ودايا •

هناك عدد كبير من الخلاوى التى يناهز عدد تلاميذها عدد تلاميذ المدارس النظامية قربهـــا كخلاوى كلس ومكجر ودايا وقونو وكردل• فخلوة كلس مثلا يناهز عدد تلاميذها الثلاثمائة تلميـــذ وتمتـــاز قـــرى المهاجـــرين بمواقعهـــا الجغرافيـــة الممتازة ، فدائما توضع فوق المناطق المجـــاورة لمجارى الوديان والمقاربة للقرى الكبيرة وتمتاز قراهم بأبراج الحمـــام المتعددة ، فقـــد تخصص المهاجـــرون تخصصـــا تاما فى تربية الحمام وهى ظاهرة جديرة بالدراسة•

اما بالنسبة للتنظيم الوظيفى لمنظمات المهاجرين ، فعلى قمة الخلوة نجـــد الفقيه والفكى وهو مسئول عن ادارة الخلوة والاشراف الكلى على تعليم التلاميذ أو المهاجرين • ثم تليه طبقـــة المهاجرين العليا وهم المهاجرون المتقدمـــون فى اعمارهم والذين شارفوا التخرج من الخلوة• ووظيفتهم شبيهة بوظيفـــة مديرى الاقسام داخل المؤسسة الواحدة أو مايعرفون ب الـ Middle Managers فى علم الادارة العامـــة • فكل منهم مسئول عن مجموعة محدودة مـــن المهاجرين للاشراف عليها والتأكد من انهم متقدمون فى حفظهم للقرآن وتعلمهم للقراءة والكتـــابة ، وتلى هؤلاء طبقة صـــغار المهاجرين وهم التلاميذ حديثو العهد بالهجرة •

وتعتبر حلقة المهاجرين وحدة اجتماعية واقتصادية قائمة بذاتها ، كما هو الحـــال عند اسر الفـــور فالزوجان يمثل كـــل منهما وحـــدة اقتصادية قائمة بذاتها (١) • ولكل طبقـــة أو فئة مـــن فئات المهاجرين وظائف خاصة بها • فصغار المهاجرين منوط بهم الخروج يوميا وعقب كل مساء الى القرى المجاورة لجمـــع الصدقات من ساكنيها • والمهاجرون

1. Gunnar Haaland, "Economic determinants in ethnic processes" in *Human Resources* (ed.) F. Barth, Bergen, 1968.

يحترفون سؤال الناس « الشحدة » وتمثل « الشحدة » مصدرا رئيسيا لدخلهم ولقوتهم • ومنظر صغار المهاجرين وفى ايديهم كؤوسهم يتجولون من قرية لاخرى ومن منزل لآخر من المناظر المألوفة فى هذه القرى وقد تبعد القرى عدة اميال عن بعضها بعضا • ومن وظائف صغار المهاجرين أيضا اعداد الطعام وطهيه بالنسبة لكبار المهاجرين ، كما ان من واجبهم تخصيص جزء مما يجمعونه للفقيه• وتشترك كل مجموعة من المهاجرين وبمختلف طبقاتها فى الحرث والزرع والحصاد بالنسبة لمزرعة الفقيه ، كما انهم يكونون مصدرا رئيسيا للقوة العاملة فى فترة الخريف فيستأجرهم المزارعون فى عمليات الزراعة المختلفة • وهنا تكمن قوة كبار المهاجرين ويتسع دخلهم الفردى على حساب صغارهم وبذلك ينتقلون الى مرحلة الباعة المتجولين (Petty Traders) .

وداخل هذه الوحدة الكلية بالنسبة لمجموعات المهاجرين ، نجد ان كل مهاجر يمثل وحدة اقتصادية قائمة بذاتها ، فهو الذى يقع عليه عبء التجول وطلب الصدقة وجمع ما يحتاج له من مواد غذائية لغذائه كما يقع عليه عبء اعداد وبناء قطيته • فالحرية الفردية والاعتماد على النفس مبادىء ملازمة للمهاجرين •

ما هى الجوانب الايجابية والجوانب السلبية لحركة المهاجرين ؟

حلقات المهاجرين تمثل نوعا من التعليم الدينى الاهلى ، وكثيرا ما عاقت ولازالت تعوق حركة التنمية الحديثة اللازمة للدولة النامية والتى تقوم على التخطيط والتنظيم وفقاً للسياسة العامة للتنمية بشقيها الاجتماعى والاقتصادى • وحركات المهاجرين تتفاوت سلبا وايجابا فى آثارها على حركة التنمية وقد يكون هذا هو الحال عند حلقات المهاجرين فى الاجزاء الاخرى من السودان ، اما فى منطقة غرب دارفور فمما يؤسف له ان الجانب السلبى هو الجانب الغالب وذاك ماحدا بنا لاختيار هذا الموضوع •

الجانب الايجـابى لحركة المهاجرين :

حركة المهاجرين تمثل نوعا من التعليم الدينى الاهلى وتتيح اكبر فرصة لأكبر عدد من النشىء ليزيلوا بعضها مـن جهلهم ، وذلك بتعلمهم لمبادىء الكتابة والقـراءة وحفظهم للقرآن • تتيح كل ذلك بأقل قدر مـن التكاليف • كذلك تشـكل معسكرات المهاجـرين نوعا مـن معسكرات القوى العاملة التى يمكن استغلالها فى فترة الخـريف وبذلك توفر ايد عاملة للقرى المجاورة لها • كما تقوم حيـاة المهاجرين داخـل معسـكراتهم على اسـاس الحياة الانفرادية والاعتمـاد على النفس ، وذلك ما يعرف بـ « الانفـرادية » Individualisim فى علم الاجتماع وهى الحياة التى تروض المهاجر على الصبر وقوة تحمـل المشاق ، كما تسـاعد على اضـعاف العـادات والتقاليـد المرتبطة بالقبيلة والولاء الاقليمى أو المحلى وتقديس عادات وتقاليد القبيلة بجميع علاتها • لهذا تعتبر مرحلة الهجرة هـذه مرحلة اعـداد للهجـرة الكبـرى ، وهى الهجرة الدائمة أو الموسمية الى مدن أواسـط السـودان والى مناطـق الانتـاج الزراعى بالجزيرة وخشم القربة • ونعنى بالهجرة الكبرى هذه الحركة المعروفة محليا بحركة عمال اللقيط أو الجنقجـورة وهى حركة تحتاج الى مقال منفصـل ، لكننا سنتطرق لها بشىء مـن الايجاز فى الاسطر القادمة •

الجانب السلبى لحركة المهاجرين :

هـذا هـو الجانب الذى له الغلبة فى حركة المهاجرين ومما يسر له ان عددا ليس باليسير من مواطنى المنطقة انفسهم قـد بدأوا يتنبهون اليه ويقاومون تياره ويشكل هذا الجانب العقبة الرئيسية فى طريـق التنمية الاجتماعية والاقتصادية •

منظمات المهاجرين منظمات قديمة فى تاريخهـا ومنتشرة وسط مجتمع الفور بشكل خاص وتتمتع بعناية ورعاية وتأييد من قبل افراد القبيلة ، لهذا عملت كثيرا على اعاقة تقـدم التعليـم النظامى الحديث •

فقد شكلت منافسة خطيرة له وعمل المهاجرون والفقهاء على الدعاية الواسعة ضده كما وصفوه بتعليم (الترك) وبالتعليم (الهندى) ،واظهروه بانه نوع من انواع التعليم الذى يفسد النشىء • ونسبة لما تتيحه هذه المنظمات من حرية فردية واسعة للمهاجر أو التلميذ أصبح الاقبال عليها اكثر من الاقبال على المدارس النظامية ، الشىء الذى استلزم كما استلزمت غيره من الاسباب جعل معظم المدارس بهذه المنطقة مدارس داخلية تتكفل الدولة فيها بالغذاء والكساء والمسكن ، فى حين ان الوضع السليم كان يجب ان تكون هذه المدارس مدارس خارجية نسبة لتميز مجتمعات هذه المنطقة بالاستقرار التام فى قرى كبيرة الاحجام ومقاربة لبعضها بعضا • كذلك استلزم هذا الوضع انشاء عدد كبير من الخلاوى المعانة •

وهذا ما نجده منعكسا على عدد التلاميذ فى المدارس النظامية وفى خلاوى المهاجرين المقاربة لها ،كما ينعكس فى تلك الاعداد الكبيرة التى تهرب من المدارس النظامية أو ترفض العودة لها بعد الاجازة المدرسية الشىء الذى أقره معظم نظار هذه المدارس فهناك عدد كبير من مدارس هذا المركز تجدها تعمل بعدد اقل من عدد تلاميذها المخطط لها ان تستوعبه • وخير مثال لذلك المدارس الابتدائية بكرول وتنكو ودريسه وقولو ودايا وسونى وفاطمة كرل وبرم برم • يحدث هذا فى الوقت الذى تضيق فيه فرصة القبول لالآف من الاطفال بالمدن الاخرى (انظر القائمة نمرة ١)

نسبة للحرية المفرطة التى يحياها المهاجرون بمعسكراتهم ونسبة لعدم وجود رقابة فعالة على تحركاتهم نشط المهاجرون فى ارتكاب اعداد كبيرة من الجرائم الخلقية (١) • وقد ساعد على ذلك ان اغلبية المهاجرين فى سن المراهقة وماجاوزها، كما ان معظم رجال الفور يهاجرون الى اواسط السودان وللمدن الكبرى طلبا للعمل ولجمع المال

---

١ ــ على عبد الله أبوسن ــ مذكرات تسليم وتسلم لخلفه (١٩٤٩ ــ ١٩٥٣) ، فايل التسليم والتسلم ــ مجلس ريفى زالنجى .

ويتركون زوجاتهم • الشيء الذى ساعد المهاجرين كثيرا على اغرائهن وارتكاب عدد كبير من الجرائم معهن ، وكثيرا ما تنظر هذه القضايا على اساس الصلح الاهلى ،ولو جاز لها ان تنظر كقضايا فى المحاكم وتدون لاكتظت بها ملفات المحاكم الاهلية • وكثيرا ما حدثنى عدد كبير من زعماء الادارة الاهلية ومن المواطنين عن انتشار هذه الظاهرة •

لقد ساهمت منظمات المهاجرين مساهمة فعالة فى اعاقة تقدم انتاج التبغ الفرجينى الحديث فى بداية انتاجه فى منطقة جبل مرة (١) • فقد اثبتت التجارب العملية صلاحية مناخ هذه المنطقة ووفرة الماء والتربة الخصبة لانتاجه ، هذا مع امتياز هذا المحصول كمحصول نقدى وكبر العائد المادى منه • دعا المهاجرون المواطنين الى عدم قبول فكرة انتاجه واظهروه لهم بانه نوع من الانتاج الحرام وقد حرمه الاسلام • الشيء الذى استلزم القيام بحملات ارشادية واسعة وتجنيد كل الطاقات والامكانيات لها ، حتى يمكن اقناع المواطنين على انتاجه • تعد فترة الهجرة لطلب العلم مرحلة تمهيدية للهجرة الكبرى الى مدن اواسط السودان والى اماكن الانتاج الزراعى بالجزيرة وخشم القربة • تعرف هذه الهجرة الموسمية بهجرة العمال أو هجرة الجنقجورة (جنقو كما تذكر اغانى الفتيات) • فى مرحلة الهجرة الصغرى يكون المهاجر قد تطبع على الحياة الانفرادية وعلى الاعتماد على النفس وتضعف العلائق التقليدية التى تربطه بقبيلته ومنطقته ويألف الحياة « الفردية »وتنمو شخصيته الانفرادية كما تنمو فيه العقلية المادية ويبدأ فى التطلع الى المدن حيث السينمات واللبس الافرنجى (البنطلونات والساعات وجزم القزاز كما يسمونها) وغيرها من الاشياء التى يذكرها القادمون من هذه الاماكن والتى تجد استحسانا وقبولا طيبا لدى الفتيات فتلهج السنتهن بالغناء للعائدين • وبهذا تبدأ مرحلة الهجرة الكبرى وغالبا ما يكون أفرادها من كبار مهاجرى الخلاوى • وليت معظم الذين يهاجرون الى اواسط السودان

---

١ ــ مذكرة بابكر النافع (مفتش الحكومة المحلية بزالنجى) الى خلفه بتاريخ ٩ر٩ر١٩٧٠ فايل مذكرات التسليم والتسلم ــ مجلس ريفى زالنجى •

يذهبـــون الى اماكن الانتاج التى تحتاج الى سواعدهم الفتية وبذلك يسهمون فى زيادة الدخل القومى ويرتفع ويتحسن دخلهم الفردى ، بل الحقيقة ان عددا لا يستهان بـــه منهم يولى وجهـــه للمـــدن حيث العطالة (بشقيها) ويسهمون بقـــدر ليس باليسير فى مشاكل الهجرة غير المخططة للمدن كضـــيق الســـكن وضيق المواصلات وضيق الخدمات الصحية وانتشار الجريمة • وخـــير مثال لذلك هذه الالآف من الشبان الذين يحترفون مسح الاحذيـــة بالمدن فباحصـــاء بسيط تستطيع ان تكتشف ان جلّهم من شمال دارفور وهـــو الامتداد الشـــمالى لسلسلة مرتفعات جبل مرة (منطقة الزغاوة)•

يحدث كل هذا فى الوقت الذى نجد فيه وفرة فى الأرض الزراعية الخصـــبة الواسعة ووفـــرة فى الماء اللازم للزراعة (الامطار والينابيع وبطون الوديان) وملاءمة من المناخ لشتى انواع المحصولات والمنتوجات كفاكهـــة البحـــر الابيض المتوسط والتبغ الفرجينى الحديث والبطاطس والطماطم وغيرها مما تستورده البلاد بعملة صعبة من خارج السودان • فالتقارير الاولية لأبحـــاث مشروع جبـــل مرة الانمائى وتقارير البنك الزراعى فـــرع زالنجى وتقاريـــر مؤسسة التبغ الوطنية (فرع زالنجى) وتقارير مفتش مركز غرب دارفور ،جميعها تشير الى كل ذلك •

وتشترك الهجرتان معا فى انهما يســـاعدان على انتشـــار الامراض الوبائية ســـواء داخـــل المنطقة أوخارجها •

واضرار الهجـــرة لاتقف عند المـــدن المستضيفة فقط (امـــاكن الجذب) بل وتساهم بالقدر الكبير فى المحافظة على التخلف فى الاماكن التى بدأت منها الهجرة (الريف أواماكن الدفـــع) • وهنـــا تحضرنى نظرية الدفع والجذب •

تفقـــد هذه الاماكن القوى الشـــابة الفتيـــة التى تكون عصب القوة العاملة الفعالة والتى يعتمـــد عليها الانتـــاج والتقدم • فالشباب هـــو القوة الانتاجية الحقيقية اما الاطفـــال والنســـاء والعجزة فذوو

قـدرات محـدودة نسبيا ـ ومامجاعات هذه المنطقـة الا انعكاس للقوة المنتجة •

ومما يدعو للقلق ان العائدين من المهاجرين الى اواسط السودان، يعودون بمفاهيم أقل ما توصف به انها هدامة ومعوقة للانتاج والتقدم• فجلهم يأتون بمفهوم استنكار العمل اليدوى فى مناطق الآباء والامهات ، وينظرون للعمل اليدوى فى هـذه الاماكن كالسبة أو العار الذى يلحق بمـن يعاوده ، فى وقت لا نجد فيه حرفة بهذه المناطق غير حرفة الزراعة وهى مجهود يدوى • كما انهم يأتون وكل ما ادخروه من مال قد انفقوه فى شراء اجهـزة الراديو والساعات والبنطلونات والسـجاير والجزم وغـيرها من ادوات المظهـر المحبب للفتيات اللائى تلهج السنتهن بالثناء لاصحابها • وماهى الا ايام معدودة حتى ينفـد ما فى ايديهم مـن مال ويبيعون كـل ما يملـكون باثمان زهيـدة ويعاودهم الحنـين للهجرة مرة ثانية ، وهكذا دواليك •

هذه بعض العقبات التى تعوق تقدم التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى هذه المنطقة فما هى انجع السبل لازالتها ؟

لقد ذكرنا ان حركة المهاجرين بشقيها الداخلى والخارجى (مهاجرى الخلاوى والمهاجرين من العمال أو الجنقجورة) قد ساعدت على انشائها وتطورها عوامل كثيرة ، منها مايتعلق بالبيئة المحلية ومنهـا ما يتعلـق بالسـودان ككل ، ولابد للحـل الناجـع ان يأتى كنتيجـة لبحث ودراسة دقيقة لهذه العوامل • وانجـاز لى ان ادلى ببعض مـن المقترحات المتواضعة فى هذا الصدد اقول : ان انتشار التعليم النظامى وتوسعه قد بدأ فى الحد من انتشار هـذه الحركة وابعدها عـن المدن واشباه المدن بالمنطقة ، كما حصرها فى الاماكن النائية • وهذا مايستلزم السير فى التوسع فى التعليم النظامى مع الحرص التام من قبل المدرسين فى أن يكمـل التلاميـذ مراحلهم التعليمية دون التعرض الى التشريد أو الهروب • وهـذا بدوره قـد يستلزم ابقـاء التلاميذ فى مدارس

توفر لهم الغذاء والكساء كحوافز للاستقرار • ويجب أيضا الحد من الافراط فى انتشار الخلاوى الاهليةوتنظيم خلاوى نظامية تقوم على أسس حديثة • اما فقهاء الخلاوى فلابد من خضوعهم لاختيار دقيق ، مع الحرص فى تقديم الاعانات اللازمة لهم ، ويمكن لمؤسسة احياء نار القرآن ان تلعب دورا هاما فى هذا المضمار ، خاصة وان التعليم قد اصبح نوعا من انواع الاستثمار •

لقد ذكرنا ان هناك مفهوما خاطئا قد ساد بين المواطنين وضمن البقاء والتأييد لحركات المهاجرين (الهجرة كشرط من شروط التعليم) وبالتالى اصبح عقبة لازمة الازالة •وازالة هذه العقبة مقرونة بالتوعية الاجتماعية اللازمة والتى يمكن ان تعبر الى المواطنين المحليين ــ الاهالى ــ عبر الزعماء المحليين المؤثرين المتبصرين باضرارها وعبر التنظيمات الحديثة كالمجالس الشعبية ولجان تطوير القرى وتنظيمات الشباب والنساء الجادة • ويمكن الاستعانة بمرشدين ومرشدات اجتماعيات على قرار مشروع التنمية الاجتماعية بريفى الخرطوم •

وعامل المواصلات عامل حاسم بالنسبة لمعظم ما تعانى منه هذه المنطقة ، فرداءة مواصلاتها الداخلية والخارجية قد لعبت دوراً كبيراً فى انفصالها عن بقية اجزاء السودان فى فترة الخريف ، كما لعبت دورا كبيرا فى تخلفها الاجتماعى والاقتصادى ، وعليه نستطيع ان نقول ان تحسين المواصلات ،وخاصة تصميم وتشييد طريق نيالا زالنجى وما ستعقبه من طرق فرعية،سيساعد كثيرا على التوسع فى زراعة المحصولات النقدية المثمرة كالتبغ الفرجينى والفاكهة بجميع انواعها ، وفاكهة البحر الابيض المتوسط بصفة خاصة ، والبطاطس والخضروات بانواعها • كل ذلك سيساعد على الاستقرار والحد من الهجرات الداخلية الموسمية والخارجية،ويساعد على ارتفاع الدخل الفردى والقومى ويسخر الطاقات الشابة المعطلة والتى غالبا ماتستنفد فى التلكؤ والتعطل فى المدن والقرى •

اما عن فوائد الاستقرار الذى سينجم عن كل ذلك وعن آثاره فى التنمية الاقتصـادية والاجتماعية ،فهى ابجديات لاتقبل الجدل وقضايا قد قتلت بحثا .

القائمة نمرة أ

المدارس الابتدائية بمنطقة غـرب دارفـور

اسم المدرسة	جملة التلاميذ	الداخليون	اسم اقرب الخلاوى لهـا	عددالتلاميذ بالخلوة
كونير	١٨٣	١٣٤	خلاوى دوبو	٢١٤
الملم	١٧٦	١٢٥	خلاوى الملم	—
جاوه	١٢٥	٥١	خلوة سونى	٣٧
فتابرنو	٢٢٤	١٢٥	خلوة قنـا	٣٤٣
كـلا	١٧٥	٩٣	خلاوى كـلا	٢٠٤
جبل س	١٤١	١٠٠	خلاوى جبل س	—
مكجر	١٨٩	١٤٦	خلاوى الفكى صالح	٤٨٣
كرولى	١٧٤	١٠٠	خلاوى حلة قرعه	١١٩
الحاميه	١٠٥	٥٠		—
قارسلا	١٨٨	١١٦	خلاوى سقى (خمسةخلاوى)	٤٦٢
دريسه	١٨٠	٩١	خلوة دريسة	٣٧٤
جلدو	٢٤٨	١٦٨	خلاوى زنقو	٢١٣
ابطا	٢١٧	١٤٢	خلاوى ابطا وكرارى	٣٠٧
قولو جبل مره	٢٤٧	١١٥		—
قيرى	١٦٨	١٣٤	خلاوى كارقلا	٣٣٥
كردل	١٨٢	١٣٧	خلوة كـردل	٣٧٣
نيرتتى	٢١٦	١٠٩	خلاوى كيبى	—

اسم المدرسة	جملة التلاميذ	الداخليون	اسم اقرب الخلاوى لهـا	عددالتلاميذ الخلوة
دايـا	٢٠٦	١٤٥	خلاوى طره	٤٣٠
كاليكتنج	١٧٦	١٥٥	خلاوى ليموواوى	٣٢١
شطايه	١٤٧	٨٥	—	—
فاطمة كرل	٢٣	٧٥	خلوة فاطمه كرل	٢٠٥
داوس	٥٥	٢٥	خلاوى داوس	
تنكو	٢٠٦	١٠٨	خلوة كلس	٣٨٦

١ ــ احصائيات المدارس الابتدائية حسب ما جـاء فى مرشـد مديرية دارفور فى مارس ١٩٧١

٢ ــ احصـائيات الخلاوى مأخوذة من فقهـاء الخلاوى المشار اليها وقـد استوثقت مـن صحتهاعند زيارتى لها •

٣ ــ الاحصائيات التى لم يتم التحصل عليها يشـار اليها بالعلامة (ــ)